الحلقة الثامنة عشرة

مؤتمر غزوة بدر

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون : أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : ففي الحلقة السابقة ، كان الحديث عن غزوة بدر الكبرى ، تلك التي يستظل المسلمون بظلها الوارف ، ويعيشون في جوها السار ، جو النصر المؤزر ، والفوز والنجاح ، وتلك التي كانت في السابع عشر من شهر رمضان المبارك ، وقد وصلنا في الحديث عنها إلى ما حدث من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، من عقد مؤتمر ضم أصحابه من المهاجرين والأنصار ، في جو ديمقراطي حر ، وجلسة ثرية بالمناقشات الهادفة والشورى الصائبة . فماذا حدث في هذا المؤتمر ؟ مؤتمر الحرية والرأي السليم ، والكلمة الهادئة العاقلة ، النابعة من القلب العامر بالإيمان ، والثقة الكبيرة في نصر الله ، إنه مؤتمر الحق والإيمان، الذي يستهدف المصلحة العامة ، والحرص على مستقبل الإسلام ، وإزالة العوائق والعقبات من طريقه ، ولهذا فإن الاتفاق في وجهات النظر كان رائعا ، وقد تجلت الطاعة لله وللرسول في أسمي معانيها في هذا المؤتمر ، والاستجابة كانت في اكمل صورة من جانب المهاجرين والأنصار ، على خوض المعركة مهما كانت النتائج ، ومهما كانت هناك من مخاطر ، وقد تبلور الرأي من قبل الجميع على أن يكونوا يدا واحدة ضد أعداء الإسلام ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات ، وها هو ذا ممثل المهاجرين المقداد بن عمرو يقول للرسول - عليه الصلاة والسلام - :

- يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل

لموسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا إذنا هاهنا قاعدون ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. انه لموقف رائع يدل على عمق الإيمان ، ويبرهن على شدة الحب للرسول ، والطاعة والاستجابة له ، دون ضغط أو إكراه من جانبه، وانما هى الحرية المطلقة والجو الديمقراطي العظيم . هذا هو موقف المهاجرين قد مثله المقداد بن عمرو ، ويتبعه موقف الأنصار الذي مثله سعد بن معاذ ، فماذا قال هذا الصحابي تعبيرا عن رأى الأنصار ؟ إنه قال للرسول - عليه السلام - : " يا رسول الله ، لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك ، فو الذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة الله " وهذا الموقف أيضا يمثل جوانب الصدق والطاعة وحسن الرأي ، ويمثل الاستعداد التام لمواجهة أعداء الإسلام ، وإن هؤلاء الذين آزروا دعوة التوحيد ، يمتازون بالصبر في الحروب ، والصدق عند اللقاء ، والشجاعة عند النزال ، والصمود عند الشدائد ، والبلاء الحسن في ميدان القتال ، وإذاً فالرؤية واضحة ، والجبهة موحدة ، والصحابة متفقون ، والقلوب ملتفة حول الرسول ، والارتفاع إلى مستوى المسئولية موفور، والروح المعنوية عالية لدى كل من المهاجرين والأنصار ، وأمام هذا الموقف الموحد ، والتصميم الإيماني على منازلة الأعداء ، حمد الرسول ربه من أعماق قلبه ، وتلألأ وجهه بالبشر والسرور، وانفرجت شفتاه عن ابتسامة حلوة عذبة ، وعندئذ قال - عليه السلام - لأصحابه :

- سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم "

. وخرج الرسول مع أصحابه إلى أرض المعركة ، ولديه رصيد كبير من الاعتماد على ربه والثقة في نصره ، واخذ -عليه السلام- يثبت المسلمين ويبشرهم بما ينتظرهم من نتائج سارة "، ويقول لهم:

- والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا ، مقبلا غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة. وهكذا كانت البشرى أمام صحابة رسول الله قبل الدخول في الميدان الحربي ، وهى بشرى مزدوجة ، بشرى عاجلة على أرض المعركة وهى النصر على العدو " والله لكانى أنظر إلى مصارع القوم " وأخرى لمن نال الشهادة ، ووسامها الرباني :

﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة﴾ (التوبة : ١١١)

والذي نفس محمد بيده :

- لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة.

إن المؤمنين في أتم فرحة وأكمل سرور ، لأن الرسول ساق إليهم البشائر، ولهذا تسابقوا إلى ميدان القتال ودخلوا الحرب قريبا من بدر ، وقبلها كانت هناك مجموعة استطلاع ، اشترك فيها على بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وكانت حصيلة هذه المجموعة الاستطلاعية ، معرفة مكان قريش معرفة تامة ، ومعرفة عدد المقاتلين من قريش ، وما إلى ذلك من معلومات أخرى نافعة ، وبناء على تلك المعلومات التي جمعت ، بدأ الحديث في خطة الحرب ، وعندئذ نظر الحباب بن المنذر إلى المكان الذي يعسكر فيه المسلمون ، وهداه تفكيره إلى أن يقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

- يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزله الله ليس لنا أن نتقدمه ولا أن نتأخر عنه

؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال له رسول الله :

- بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال الحباب : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى أدنى ماء من القوم ، وبين له وجهة نظره في اختيار ذلك المنزل ، وأن فيه مصلحة للمسلمين وضررا بالكافرين ، فاستحسن الرسول رأيه وقال له : لقد أشرت بالرأي ، وانتقلت قوات المسلمين إلى حيث أشار الحباب بن المنذر ، وهكذا نلتقي بأحد نماذج القيادة الرشيدة بل بأفضلها ، فإن القائد وهو رسول الله ، لم ينفرد بالرأي ، ولم ينهض بالمسئولية وحده ، وإنما استشار أصحابه، وأخذ رأيهم ، حتى إذا جاءه أحدهم بالفكرة الطيبة والرأي والصواب ، وافق عليه ووضعه في الخطة ، وقبل أن يبدأ القتال ، كان المسلمون قد تم حشدهم في المكان الملائم والوقت المناسب ، كما أنهم نظموا قوتهم ومياههم ، وردموا البئر التي قدروا أن يستخدمها الكفار ، وبدأت المعركة ، وكان لقريش التفوق على المسلمين في العدد والعدة ، ولكن كانت لدى المسلمين قوة أخرى ، فهم وإن كانوا أقل في الكم ، لكنهم أكثر وأعظم فى الكيف ، حيث كانت لديهم القوة المعنوية والقوة المعنوية سلاح رهيب ، وذخيرة فتاكة بالأعداء، والمسلم كان يعتقد أنه لابد حاصل على إحدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة ، ودارت المعركة ، ولكن بدأت بالمبارزة الفردية على نحو ما كان مألوفا في اللقاء، فتقدم عبيدة وحمزة وعلى ، فانتصر كل منهم على غريمه وقتله ، وهكذا كانت البداية مبشرة بالخير، وارتفعت الروح المعنوية لدى المسلمين ، ووجدوا أنفسهم تواقين إلى ملاقاة الأعداء ، يدفعهم إلى ذلك الإيمان الحي في قلوبهم ، ويشدهم إلى هذه الملاقاة شعور خفي

داخلي ، وفى الحلقة القادمة بمشيئة الله ، سنكمل الحديث عن أول موقعة حربية بين الإسلام والكفر ، وسنستخلص منها الدروس المستفادة ، والعبر النافعة ، والله الموفق .